العلاقات بين روسيا وحركات المقاومة في المنطقة

تطوّر استراتيجي بمواجهة المشروع الأميركي

د. فؤاد خشيش

توطئة

حين أصبح الرئيس فلاديمير بوتين زعيمًا لروسيا قبل أكثر من عقدين، لم تكن موسكو لاعباً رئيسياً في العالم العربي، وكانت الهيمنة الأميركية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا قوية للغاية. ولم تكن أي قوّة كبرى تشكّل تهديداً حقيقياً لمكانة واشنطن الجيوسياسية في المنطقة.

ومع ذلك، منذ سبتمبر/أيلول 2015، عندما كثّفت روسيا من تدخلها العسكري المباشر في الأزمة السورية، تغيّرت المفاهيم الإقليمية، وباتت العديد من الجهات الحكومية وغير الحكومية تعترف بواقع القوّة الروسية في المنطقة.

وفي حين أن تركيز السياسة الخارجية لروسيا تجاه منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ينصبّ على سوريا وليبيا، فإن الوضع الصعب في غزة بدأ يُغري موسكو للعب أدوار متقدمة في المنطقة.

كانت سوريا حاسمة فيما يخص سياسات الإتحاد السوفياتي تجاه الشرق الأوسط خلال الحرب الباردة. وقد جعلها موقعها – الذي يُحاذي البحر الأبيض المتوسط وفلسطين المحتلة ولبنان وتركيا والأردن والعراق – حليفاً إستراتيجياً حيوياً. كان الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد، أقرب الحلفاء إلى موسكو في العالم العربي منذ انشقاق مصر عن المدار السوفياتي في منتصف سبعينات القرن الفائت؛ وكانت لموسكو روابط عسكرية واقتصادية وسياسية وثقافية

عميقة مع دمشق. وعلى المستوى الشخصي، شعر السوريون بتواصل وتقارب مع الروس، الذين نظروا إليهم كأصدقاء وليس كما فعلوا مع دول أخرى في المنطقة.

من وجهة نظر بوتين، يجب على موسكو أن تنخرط في القضية الفلسطينية من أجل تسهيل عودة روسيا إلى المنطقة.

ومن الناحية العملية، يستلزم ذلك تحسين العلاقات بين موسكو و"حماس"؛ وهو ما تؤكده العديد من الزيارات والاتصالات بين كبار المسؤولين الحكوميين الروس وممثّلي "حماس" خلال الأعوام الأخيرة.

وبالرغم أن حكومة بوتين تحتفظ بعلاقات وثيقة مع (إسرائيل)، إلاّ أن موسكو وتل أبيب لم يسبق لهما أن تحدّثتا عن القضايا المتعلقة بالفلسطينيين بشكل مباشر.

وقد أثار تقارب روسيا مع حركة"حماس" غضب (إسرائيل) والولايات المتحدة، وكلاهما يتّهم الكرملين بإضفاء الشرعية على "منظمة إرهابية". كما أزعج هذا التطور السلطة الفلسطينية، المنافس الفلسطيني الرئيسي لـ"حماس."

لكن اعتراضات واشنطن وتل أبيب ورام الله لم تمنع روسيا من الدخول في حوار أكبر مع "حماس"، التي لا تعتبرها موسكو جماعة إرهابية.

وبدلاً من ذلك، تعتقد الحكومة الروسية أنه يجب الاعتراف بـ"حماس" كفصيل فلسطيني له نفوذ ودور حاسم في القضية الفلسطينية.

وفي الواقع، كان المسؤولون الروس يستقبلون قادة الحركة في موسكو منذ مارس/آذار 2006، بعد وقت قصير من الانتخابات البرلمانية الفلسطينية التي فازت فيها "حماس".

ولكن في عام 2006 كان السياق مختلفاً، حيث كانت روسيا لاعباً أقل تأثيراً بكثير في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. لكن موسكو تتحدّى اليوم دور واشنطن التقليدي كوسيط بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

لقد سلّط ردّ روسيا على "صفقة القرن" الضوء على هذه النقطة. وكما قال رئيس لجنة مجلس الدوما للشؤون الدولية، ليونيد سلوتسكي، فإن خطة "ترامب–كوشنر" مؤيّدة لـــ(إسرائيل) بشكل صارخ، ولا تأخذ مصالح الجانب الفلسطيني في الاعتبار.

مقدّمة تاريخية

إن علاقة روسيا في حقبها الأربع:«القيصرية، والإمبراطورية، والسوفييتية، والاتحادية»، بأرض فلسطين قديمة وعتيقة، وتعود إلى قرون من الزمن. أما علاقة روسيا بالصراع العربي– الإسرائيلي، وتأسيس "دولة" إسرائيل، فقد بدأت منذ بزوغ هذه الفكرة حتى إعلانها عام 1948، حيث كان لروسيا السوفييتية الدور الأبرز في دعم قيامها. وقد سبقت مناقشة هذه القضية بالتفصيل في أحد تقديرات الموقف الصادرة عن مركز باحث للدراسات، بعنوان «محدِّدات الموقف الروسي بشأن الصراع الإسرائيلي– الفلسطيني».

تعود بداية العلاقات الروسية– الفلسطينية إلى نهاية القرن التاسع الميلادي، وبالتحديد بعد «معمودية كيڤانس» عام 867، واعتناق السلاف للمسيحية الشرقية، ومعرفتهم بأرض فلسطين من خلال القصص الواردة في العهدين القديم والجديد. وفي بداية القرن الحادي عشر، بدأ كثير من الحجّاج الروس بالتوافد على فلسطين؛ وكان القدّيس فيودوسي بيشيرسكي، من كييڤ، أوّل الحجّاج الروس تدوينًا لتفاصيل رحلته إلى فلسطين عام 1022، التي شملت «الاستحمام في نهر معمودية المسيح»، وزيارة «موقع الجلجثة» في كنيسة القيامة؛ وبعدها أصبحت الزيارات الروسية إلى الأماكن المقدسة في فلسطين منتظمة.

يصف الدبلوماسي وأستاذ قسم الدراسات الشرقية، البروفيسور ألكسندر ڤلاديميروڤيتش كريلوف، العلاقات الروسية– الفلسطينية بالقول: «تاريخ العلاقات الشعبية الفلسطينية– الروسية لا يعود فقط إلى عقود، بل إلى عدّة قرون، حيث كان موقف الشـــعب الروســـي المتعدد القوميات تجاه فلســـطين يتحدد– في المقام الأوّل– من خلال الروابط الدينية والثقافية والتعليمية. لطالما أبدى الفلســطينيون اهتمامًا كبيرًا بالتاريخ، والثقافة، والفن الروســي. كما أســهم موقف روســيا الثابت بشأن التسوية في الشرق الأوسط، والداعمة للحق المشروع للشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة، في تعاون ثنائي إيجابي وديناميكي»*.

Московский государственный институт международных отношений (университет) МИД России – А.В. Крылов – История и современное состояние российско-палестинских отношений

العودة الروسية إلى القضية الفلسطينية

منذ عام 1968، بدأت العلاقات بين الاتحاد الســـوفييتي وحركة فتح بزعامة الراحل ياســـر عرفات. ومع تولّي ميخائيل غورباتشوف زعامة الاتحاد السوفييتي، وبدء برنامجه "الإصلاحي" المسـمّى «البيروسـترويكا والغلاسـنوسـت»، والتقارب مع الغرب، توقّف تقريبًا الدعم الروسـي للقضـية الفلسـطينية، واكتفت موسكو بدور الشـريك الشـرَفي للولايات المتحدة، وذلك عبر دعم مؤتمر مدريد للسلام عام 1991، وغير ذلك من المبادرات والاتفاقيات الأميركية.

بعد تفكّك الاتحاد الســوفييتي، دخلت روســيا مرحلة جديدة من تاريخها الســياســي، اتســمت بالفوضــى الداخلية، وغياب سـلطة القانون، وانتشـار بؤر التمرّد والصـراع والحروب الأهلية في محيطها السوڤييتي السابق، واحتكرت الولايات المتحدة عملية السلام احتكارًا كاملًا.

شـكّلت الانتخابات التشـريعية الفلسـطينية، التي عقِدت في الخامس والعشـرين من يناير (كانون الثاني) 2006، وفوز "حماس" بأغلبية مقاعدها، فرصــة مثالية للعودة الروسـية من جديد للعب

دور في ملف الصـراع الفلسـطيني- الإسـرائيلي، مسـتغلّة عدم اعتراف المجتمع الدولي بحركة حماس، وحاجة الأخيرة إلى علاقة مع قوى دولية تكســر عزلتها؛ وهنا تلاقت مصـــالح كلا الطرفين، وعقِد اللقاء الأوّل لوفد حماس برئاســة خالد مشــعل مع وزير الخارجية ســيرغي لافروف، في الثالث من مارس (آذار) 2006، ونتج عنه رفض روسيا وضع حركة حماس على قائمة المنظمات الإرهابية، كما فعلت الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي، وغيرهما من بلدان العالم.

ويمكن التأريخ للعودة الروســية بشــكل جديّ لمتابعة دورها في ملف التســوية الفلســطينية- الإســرائيلية بعام 2007، الذي شــهد عدة أحداث مثيرة ومتزامنة؛ إذ تمكّن الرئيس الروســي فلاديمير بوتين من ترسيخ سلطته.

تعدّدت لقاءات قيادات حركة حماس مع المسؤولين الروس، وتبع ذلك انفتاح روسي على حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين؛ وتسابقت بعدها الحركات والفصائل الفلسطينية الأخرى، وعلى رأسـها حركة فتح، لزيارة موسـكو. وبدأت روسـيا تتحدث بعد هذه المرحلة عن ضـرورة إنهاء "الاحتكار" الأميركي لعملية السلام، وأنها لم تعد وسيطًا "نزيهًا"، وطالبت بدلاً من ذلك بالعودة إلى مسـار «اللجنة الرباعية بشـأن الشـرق الأوسـط»، المكوّنة من (الولايات المتحدة، والاتحاد الروســي، والاتحاد الأوروبي، والأمم المتحدة) التي تأســســت في مدريد عام 2002، لتولّي مسؤولية قيادة المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

الدوافع الروسية للتفاعل مع الفصائل الفلسطينية

أثار الموقف الروسـي المنفتح على الحوار مع جميع الفصـائل والقيادات الفلسـطينية، تسـاؤلات عدة عن الدوافع الكامنة خلف هذا الموقف، خلافًا للخطاب الروســي المعلن، الذي يتحدث عن

"رغبة" روسية في خلق "توافق" بين الفصائل الفلسطينية المختلفة، من أجل "تقوية" موقفها التفاوضي؛ ولكن الواضح أن لموسكو أهدافًا أخرى، يمكن إجمالها في العناصر الآتية:

-استثمرت روسيا كثيرًا من المال والعمل السياسي والدبلوماسي في فلسطين، سواء بدعمها لليهود والحركة الصهيونية لتأسيس "دولة" إسرائيل، أو فيما بعد بدعم منظمة التحرير الفلسطينية، والحركات اليسارية في سعيها إلى نيل الاستقلال، وتأسيس دولة فلسطينية، ولكنها خرجت في النهاية صِفْر اليدين؛ واحتكر الأميركيون وحدهم عملية التسوية، والنفوذ على الفلسطينيين والإسرائيليين معاً.

-تدعو روسيا علنًا، منذ عام 2007، إلى نظام عالمي متعدد الأقطاب، تؤدّي فيه دورًا رئيسيًّا. وتمثّل قضية، أو بالأحرى "عقدة" الشرق الأوسط، المكان الأبرز لبناء هذه القوّة، وإعلان نفسها، ودورها الذي تأمل في الحصول عليه.

-شكّلت حركة "حماس"، والفصائل الفلسطينية الأخرى، بوّابة العودة الروسية إلى ملف التسوية وإلى المنطقة، في تبادل للمصالح بين الطرفين. وقد لفت هذا التوجّه الروسي الجديد أنظار السلطة الفلسطينية، وكذلك "إسرائيل" والدول العربية؛ وهو ما جعل لموسكو دورًا مهماً لم يعد يمكن استثناؤه كما كان الواقع من قبل.

وفي ظل الوجود الروسي العسكري والسياسي في سوريا، والذي يبدو أنه بات "راسخًا" ، مع وجود حدود مشتركة ومشكلات سورية لم تُحسَم مع "إسرائيل"، فإن الدور الروسي النشط في الملف الفلسطيني يمكّن موسكو من الضغط على تل أبيب، وعقد مقايضات وتفاهمات تفيد وجودها ودورها المتنامي في المنطقة.

–يعني الأمن كما وصفه المارشال الروسي مخموت أخمدوفيتش غاريف، في استراتيجية الأمن القومي الروسية الصادرة عام 2008، لروسيا "أمن الطاقة أولًا"، حيث تكافح روسيا لأجل تنفيذ خطة 2030 لأمن أسواق الطاقة، عبر ربط المستهلكين الكبار بشبكة من خطوط أنابيب الغاز بعقود طويلة الأجل، تضمن هيمنتها على السوق، وامتلاكها لورقة ضغط جيوسياسية، وفي ظل وجود مكامن غنيّة بالغاز الطبيعي، حسب أغلب الدراسات في منطقة شرق المتوسط، والخلاف بين الأطراف المتشاركة فيه بشأن ترسيم الحدود، وحجم الحصص، وكيفية توزيعها، وتأمين منصّات استخراج الغاز الطبيعي من أي هجمات عسكرية، حيث تعتقد موسكو أنه بوجود علاقات قوية لها مع الفصائل والقيادات الفلسطينية كافة، وتحالفها مع سوريا، وعلاقاتها مع إيران وحزب الله في لبنان، والعلاقة المميزة مع"إسرائيل"، ستجعل منها طرفًا مقبولًا من كل هؤلاء ، والضامن الأمني للشركات الراغبة في استخراج الغاز الطبيعي من المنطقة؛ وهو ما يمنحها قدرًا من التحكم في عملية تسويق هذه الثروات الغازية بما لا يتعارض مع مخططاتها التسويقية.

–أخيرًا، إن الدور الروسي النشط على الساحة الفلسطينية، وارتباطه بقضايا أمنية تهم "إسرائيل" وداعميها من القوى الدولية، يشكّل ورقة مقايضة لروسيا في ملفات أخرى تهمّها في المنطقة، وفي محيطها السوفييتي السابق. فعلى سبيل المثال، دعمت "إسرائيل" جورجيا بطائرات مسيّرة وتكنولوجيا عسكرية متطورة في حرب أوسيتيا الجنوبية عام 2008، في حين اتخذت موقفًا محايدًا من الصراع في أوكرانيا، وضم/ استعادة روسيا لشبه جزيرة القرم، حيث راعت "إسرائيل" الحقائق الجيوسياسية الجديدة للدور الروسي التي لم تكن موجودة في 2008.

في لقاء هو الأوّل من نوعه، التقى زعيم التيار الإصلاحي الديمقراطي في حركة فتح، محمد دحلان، وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، في الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني 2021. كانت لدى موسكو ودحلان اتصالات نشطة على مدار الأعوام السابقة، ولقاءات دورية في

موسـكو وأبوظبي، وغيرهما من العواصـم العالمية، وهي جمعت بين دحلان والمبعوث الخاص للرئيس الروسـي إلى الشـرق الأوسـط ودول إفريقيا، ميخائيل بوغدانوف. وقد بدا تجنّب لافروف لعقد لقاءات علنية مع دحلان، مراعاةً لرئيس السـلطة الوطنية الفلسـطينية محمود عباس، نتيجة الخلاف المشتعل بين الرجلين بشأن إدارة عباس للشؤون الفلسطينية*.

https://alarab.co.uk/11/06-2021

وقد علّق الكاتب الروسـي، ونائب رئيس الحركة الأوراسـية العالمية، ليونيد سـاڤين، على الزيارة بالقول: «الفصـائل المتصـارعة في فلسـطين تعتمد على قوى مختلفة، بعضـها على إيران، وبعضها الآخر على مصر والسعودية والإمارات»؛ كما أن بعض هؤلاء الرعاة «يربطون دعمهم للفلسـطينيين بمطالب سـياسـية لا بدّ من الوفاء بها»، في حين «تقدّم موسـكو فقط الدعم الدبلوماسي والسياسي، الذي لا يقلّ قيمة عن الدعم المالي، ويمكن استخدامه كرأس مال سياسي في أي مفاوضات». وهذا الدعم- بحسب رأيه- يمكن ملاحظته " بوضوح" في "المساعدة" التي تقدّمها روسيا للحكومة السورية.

ويكمِل ساڤين، بالقول: «لقد فهم العالم العربي أن موسكو- عكس واشنطن، أو العواصم الغربية الأخرى- لا تتخلّى عن حلفائها»؛ وعلى الرغم من "الموقف النقدي" لبعض العرب، على سـبيل المثال من "دعم روسيا للرئيس السوري بشـار الأسـد"، أو موقفها "المنفتح على حزب الله"، فإن هذا الموقف "يلقى احترامًا حتى بين معارضـي روسـيا وسـياسـاتها في المنطقة". لذلك، من "المفيد" لبعض القوى إظهار هذه الزيارة على أنها «خطوة نحو مرحلة جديدة في إعادة تنظيم العمليات السـياسـية في فلسـطين». وقد تكون هناك تفسـيرات مختلفة، لكن روسـيا تنظر بشـكل عملي وبراغماتي إلى الوضع الداخلي الفلسطيني.

تشكّل فلسطين، روحيًّا وتاريخيًّا، وأرضًا وقضيةً سياسية، عنصرًا مهمًّا لروسيا في قضايا المنطقة للأسباب السالف ذكرها. كما أتاحت الفصائل الفلسطينية المتصارعة فرصة لها للعودة من الجديد والتأثير في هذا الصراع الممتد من عام 1948، حيث تمكّنت روسيا عبر هذه العودة من تحقيق عدة مكاسب مهمة:

-ترى موسكو أن المكاسب التي حقّقتها من تواصلها مع الفصائل الفلسطينية يمكن أن تخسرها في حال ظلّ الصراع الفصائلي على ما هو عليه، ولأنه لم يعد في صالحها؛ ولذلك تسعى موسكو إلى خلق تفاهم أو توافق فلسطيني- فلسطيني، يمكّنها من القول إن هناك موقفًا فلسطينيًّا موحّدًا يدفع إلى عودة المفاوضات من جديد.

-يعتقد بعض الخبراء أن بإمكان موسكو أن تؤدّي دورًا أكثر فاعلية من واشنطن، سيما في ظل تراجع أهمية الشرق الأوسط بالنسبة للأخيرة، وأن تستغل روسيا علاقاتها بتركيا وإيران ووكلائهما في المنطقة، وسوريا وإسرائيل والسلطة الوطنية الفلسطينية وباقي القيادات والفصائل الفلسطينية الأخرى، مع ما تتمتع به من علاقة مميّزة مع مصر والأردن من ناحية، وبلدان الخليج العربية من ناحية أخرى، وفي ظل وجودها العسكري في سوريا، لتتمكن من التوصل إلى صفقة تسوية كبرى تشمل، إلى جانب فلسطين، سوريا ولبنان؛ وذلك للتفرّغ بعدها لمشروعات التنمية، وإعادة إعمار سوريا.

-يشكّل العامل الإسرائيلي عنصرًا مهمًّا في التحرك الروسي نحو سوريا والقضية الفلسطينية. ورغم ما بدا من جفاء بين موسكو والحكومة الجديدة برئاسة نفتالي بينيت (أوّل رئيس وزراء لإسرائيل من أصول غير روسية)، فقد عقد بينيت لقاءً مع الرئيس الروسي ڤلاديمير پوتين، استمر خمس ساعات في مدينة سوتشي؛ وقرّر بعد ذلك تمديد زيارته يومًا آخر لمزيد من المفاوضات. ويبدو أن هناك تفاهمات قد تمّ التوصل إليها بين الطرفين، تستدعي تنسيقًا روسيًا

عالي المستوى مع الطرف الفلسطيني، وتشكيل جبهة قادرة على بدء مفاوضات جديدة، كما يعتقد كثير من المراقبين.

لكن رغم الصداقة مع "إسرائيل" ، لم تعترف روسيا بحماس كمنظمة إرهابية. وهناك العديد من المواطنين الروس الذين يعيشون في غزة ، أو بالأحرى، مجموعة من النساء المتزوجات من مواطنين فلسطينيين ، حيث تقول المستعربة ماريانا بيلنكايا ، وهي كاتبة في صحيفة "كوميرسانت" الروسية ومحرّرة قناة "فلافيلنايا" حول سياسات الشرق الأوسط :" لهذا السبب يذهب الدبلوماسيون الروس إلى تزويدهم بالمساعدات القنصلية وغيرها من رام الله في غزة. ومثل هذه الزيارات مستحيلة بدون التواصل مع حركة "حماس". بالإضافة إلى ذلك ، يعمل المركز الثقافي الروسي "كالينكا" في غزة، الذي يرعاه "روسوترودنيتشيستفو" ، التابع لوزارة الخارجية الروسية ، والذي يترأسه يفغيني بريماكوف الحفيد*.

*https://meduza.io/feature/2021/05/21/rasskazyvaem-ob-istorii-otnosheniy-rossii-s-hamas-glavnym-vragom-izrailya-v-poslednie-nedeli

موسكو تدفع باتجاه المصالحة الفلسطينية

من أهم أسباب حرص روسيا على تطوير موقفها من "حماس" ، اهتمام موسكو بدفع الحركة نحو إعادة تنسيق علاقاتها مع النظام السوري.

وفي 4 مارس / آذار 2020، بدا أن الجهود الروسية لتسهيل التقارب بين دمشق و"حماس" قد نجحت. وتحدّث إسماعيل هنيّة، زعيم "حماس"، في مؤتمر صحفي في موسكو، وأعلن أن كلاً من الحكومة السورية والمواطنين السوريين ظلّوا لأعوام داعمين رئيسيين لحركته.

وقال: "لا يمكننا أن ننسى هذا التاريخ. لا توجد سياسة أو أي قرار من حماس للانخراط في القضية السورية؛ وأنفي بشدّة وجود أي مقاتل أو شهيد من حماس في إدلب، أو قبل أحداث إدلب، أو حتى في الثورة السورية."

وكان "هنيّة" أصدر هذا البيان بعد اجتماع مع وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف"، ومسؤولين روس آخرين، وأوضح فيه أن "حماس" مستعدة للعب دور بنّاء فيما يتعلق بإنهاء الأزمة السورية.

ومن المرجّح أن تستمر روسيا في محاولة تخفيف أي توتّرات مستمرة بين الحكومة في دمشق و"حماس."*

*جورجيو كافييرو – معهد الشرق الأوسط –04/ 2020/04

الهروب من العزلة

من منظور حركة "حماس" ، يمكن لشراكة متنامية مع قوّة كبرى مثل روسيا، العضو المهم في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، والتي تقوم بدور أكبر في الشرق الأوسط، أن تساعد في مواجهة الجهود الإسرائيلية والأميركية لعزل الحركة الفلسطينية.

ومن خلال اتصالات "حماس" المتنامية مع موسكو، يهدف هذا الفصيل إلى تعزيز مكانته على الساحة الدولية واكتساب عدد متزايد من الشركاء.

وتعتمد حركة حماس على حقيقة أن النفوذ الروسي المتزايد في المنطقة سيؤدّي إلى تحسينات للفلسطينيين. وكانت الحركة تأمل في أن يؤدّي التقارب بينها وبين روسيا إلى دفع الرئيس الروسي بوتين آنذاك إلى ممارسة نفوذه على رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق بنيامين نتنياهو ؛ ومن ثمّ على خلَفه الذي استقال أخيراً ، نفتالي بينيت، لرفع الحصار عن قطاع غزة

رشوة سياسية

أفادت قناة عبريّة بأنّ "العديد من الطائرات الروسية الخاصّة وصلت من سان بطرسبورغ إلى مطار بن غوريون الدولي منذ بداية العملية العسكرية الروسية، والعديد من اليخوت قد رست في موانئ إسرائيل". وقد امتنعت إسرائيل الرسمية، بإيعاز من نفتالي بينيت، عن فرض أيّ قيود على الأوليغارشيين الروس اليهود، الذين حصلوا على جنسية إسرائيلية بموجب "قانون العودة"، الذي يسمح لليهود فقط بالهجرة إليها. ولم تفرض عليهم قيوداً بشأن رسوّ يخوتهم وهبوط طائراتهم الخاصة في إسرائيل. وقد هبطت الطائرة الخاصة للملياردير رومان أبراموفيتش في إسرائيل، بعدما كان قد أعلن عن عزمه بيع فريق كرة القدم البريطاني تشيلسي. ويواصل رومان عمله في إسرائيل بحرّيّة، ويستمرّ بالتبرّع لمؤسسات إسرائيلية عديدة، وبينها تبرّع سخيّ لمتحف "يد فَشِم" في القدس لتخليد ذكرى "المحرقة".

من جانبه، تعهّد وزير الخارجية الإسرائيلي يائير لابيد بأن لا تكون إسرائيل طريقاً لتجاوز العقوبات المفروضة على روسيا.

تفعل إسرائيل ذلك متذرّعة بما يوصف بقانون "ميلتشين"، نسبة إلى الملياردير الإسرائيلي أرنون ميلتشين، الذي جرى سَنُّه في العام 2008، ويعفي المهاجرين اليهود إلى إسرائيل من تسديد الضرائب فيها لمدّة عشر سنوات، ويعفيهم من تقديم تقارير عن أعمالهم خارجها لعشر سنين أيضاً. وحوَّل "قانون ميلتشين" إسرائيل إلى ملاذ من الضرائب للأثرياء والأوليغارشيين اليهود. لذلك لا تتعاون إسرائيل مع سلطات الضرائب في دول أخرى، بادّعاء أنّها لا تملك معلومات عن دخلهم بسبب "قانون ميلتشين".

كل هذه المواقف من الحكومة الاسرائيلية لم تشفع لدى القيادة الروسية. ففي بيان غير مسبوق من ناحية اللهجة والمحتوى، هاجمت وزارة الخارجية الروسية مواقف وزير خارجية إسرائيل يائير لابيد، واعتبرتها محاولة لصرف أنظار المجتمع الدولي عن أحد النزاعات الأطول في التاريخ، وهو الصراع الإسرائيلي– الفلسطيني (بعد أن كان عربياً؛ لكن عمليات التطبيع أنهت الصراع..)، وذلك في سياق الردّ على دعم لابيد لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة القاضي بتعليق عضويّة الاتحاد الروسي في مجلس حقوق الإنسان، التابع للأمم المتحدة، وإدانة لابيد "المذبحة في بلدة بوتشا" القريبة من "كييف"، كاتباً في حسابه في تويتر: "لا يمكن البقاء لامبالين أمام هذه الصور المروّعة التي اكتُشفت بعد خروج الجيش الروسي من المكان"(تأييد للدعاية الأوكرانية).

وبشكل استثنائي، انتقد وزير الخارجية الروسية سيرغي لافروف الانتهاكات الإسرائيلية ضدّ الفلسطينيين بشكل لاذع؛ فقد أضاف بيان الخارجية الروسية أنّ "الحكومة الإسرائيلية تواصل الاحتلال غير الشرعي والضمّ الزاحف للأراضي الفلسطينية، في انتهاكٍ لعدد من قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة"، مشيراً إلى أنَّ "هناك مليونين ونصف مليون فلسطيني يعيشون في جيوبٍ منفصلةٍ ومنقطعةٍ عن العالم".*

*روسيا اليوم – 05/4/ 2022

كما أضاء البيان الروسي على الوضع في قطاع غزة، فقال: "القطاع أصبح فعلاً سجناً مفتوحاً يعيش سكّانه منذ 14 عاماً في ظروفِ الحصار الذي تفرضه إسرائيل، بحراً وبرّاً وجوّاً"؛ وبيّن أنَّ "دول الغرب والولايات المتحدة مرّت مرور الكرام على استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية".

ولاحقاً ، علّق مصـــدرٌ في وزارة خارجية كيان الاحتلال الإســـرائيلي على بيان وزارة الخارجية الروسية، الشديد اللهجة بحق "إسرائيل"، قائلاً: "روسيا عادةً ما تصوّت ضدّ "إسرائيل" في الأمم المتحدة. وعليه، فإنَّ "إسرائيل" لا ترى أيَّ مانعٍ من تصويتها ضدّ روسيا في المنظمة الدولية".

https://www.newsru.co.il/world/27feb2022/un_rus_109.html

موقع دول الخليج في المعادلة الجديدة

يُلاحظ خلال الآونة الأخيرة أن هناك دوراً مهماً تلعبه الدول الأعضـــاء في مجلس التعاون الخليجي. فقد اســتضــافت قطر، التي تفتخر بكونها مؤيّدة للفلســطينيين، اجتماعاً بين روســيا و"حماس" في فبراير/ شباط الفائت. وتساعد الدوحة في تسهيل التقارب بين موسكو و"حماس"، في إطار سعيها لإيجاد طرق جديدة لتقويض الجهود الأمريكية والإسرائيلية الرامية لعزل"حماس."

وبالإضــافة إلى قطر، تحافظ الكويت على علاقات جيّدة مع روســيا؛ وهي اســتخدمت أيضــاً أوراقها الدبلوماسية للدفاع عن القضية الفلسطينية في العديد من المحافل الدولية.

جديرٌ بالذكر أنه في مايو/أيار 2018، أشــادت "حماس" بالكويت لمنعها مشــروع قرار لمجلس الأمن برعاية واشنطن، والذي كان سيُدين "حماس" لإطلاقها صواريخ على (إسرائيل) من غزة.

وفي الشهر التالي، قال الناطق باسم حماس "فوزي برهوم"، إن "موقف الكويت الحقيقي في دعم فلسطين والفلسطينيين في قطاع غزة هو شيء نفخر به. ونأمل أن تحذو دول عربية أخرى حذو الكويت في إعادة بناء قطاع غزة ودعم الشعب الفلسطيني."

وإذا استطاعت موسكو، بالتوازي، متابعة مبادرات مع الدول الخليجية، فسوف ترحّب "حماس" بهذا التطور باعتباره مفيداً لجدول أعمال الحركة، الذي يهدف إلى الحدّ من نفوذ واشنطن الإقليمي.

وفي هذا السياق، تنظر "حماس" بشكل إيجابي لعودة روسيا إلى الشرق الأوسط.

ومثل العديد من الجهات الفاعلة من الدول وغير الدول التي تعارض الهيمنة الأميركية في العالم العربي، ترى "حماس" أن روسيا هي القوّة التي يمكن أن تُوازن ثقل الولايات المتحدة.

ويبقى أن نرى فقط مدى موثوقية روسيا، خاصة على المدى الطويل. ومن غير الواضح أيضاً مدى نجاح "حماس" في إقناع موسكو بممارسة ضغوط كافية على الحكومة الإسرائيلية حتى تغيّر سياساتها، وهي التي حوّلت غزة إلى "سجن كبير" بعد أعوام طويلة من الحصار.

وفي حين تُدرك روسيا و"حماس" وجود العديد من المكاسب جرّاء التقارب والحوار المستمر، فإن موسكو لا ترغب في الانضمام إلى طهران في تبنّي أجندة معادية لـ(إسرائيل) بشكل مباشر.

وبدلاً من ذلك، سيواصل الرئيس الروسي "بوتين" سعيه لتحقيق التوازن في علاقة روسيا بالأطراف المتصارعة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مع توخّي الحذر أيضاً بشأن معالجة القضايا التي تؤثّر بشكل مباشر على المصالح الإسرائيلية.

وساطة روسيا وتغيير قواعد اللعبة

في مطلع شهر مايو/ أيار من العام الحالي، واستجابة لدعوة من وزارة الخارجية الروسية، وصل وفد رفيع المستوى من حركة "حماس"، برئاسة رئيس مكتب العلاقات الدولية د. موسى أبو مرزوق، إلى العاصمة الروسية موسكو، من أجل إجراء مباحثات مع المسؤولين الروس في عدد من الملفات المهمة والمتعلقة بتطورات القضية الفلسطينية*.

https://eadaily.com/ru/news/2022/05/05/v-moskve-nahoditsya-delegaciya-hamas-segodnya-zaplanirovany-peregovory *

وفي مطلع شـــهر مارس/ آذار من العام 2020 ، وبينما كانت (إســـرائيل) مشـــغولة بحملتها الانتخابية المشـــؤومة والمشـــحونة، توجّه قادة من "حماس" إلى "الكرملين" للقاء وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف. ولم تحصل هذه الزيارة على أي تغطية إعلامية تقريبًا في (إسرائيل).

لا يمكن إلاّ أن نخمّن كيف سيكون رد فعل شخصيات إسرائيلية بارزة لو أن هذه الزيارة تمّت في دولة أوروبية أو آســـيوية أو أمريكا اللاتينية. ولكن عندما فتح "بوتين" بوّابات الكرملين لـ"حماس"، اختار نتنياهو آنذاك الصمت.

وقد ضـــمّ وفد "حماس" حينها رئيس المكتب الســـياســـي للحركة إســـماعيل هنيّة، ونائبه "صـــالح العاروري"، وعضو المكتب السياسي "موسى أبو مرزوق".

ولم تكن هذه هي المرّة الأولى التي يُستقبل فيها قادة حماس بحرارة في موسكو. فقد زار الرئيس السابق للمكتب السياسي لحركة حماس، خالد مشعل، موسكو في مارس 2006، على رأس وفد من قيادة حماس في غزة ودمشق. وتمّت هذه الزيارة بعد أسابيع قليلة فقط من فوز "حماس" في الانتخابات البرلمانية الفلسطينية وتعيين إسماعيل هنيّة رئيساً للوزراء*.

* الخليج الجديد – وكالات 9 /2020/03

وربما كانت تلك الزيارة قد غيّرت الوضـــع المحزن لغزة و"حماس"، حيث بحثت الحركة عن اعتراف دولي من شـأنه أن يُخرجها من العزلة والإغلاق الجزئي الذي فرضـته (إسـرائيل) على القطاع .

وفي لقائه مع سيرغي لافروف آنذاك، أعلم خالد مشعل وزير الخارجية الروسي بموقف حماس القاطع: "لن نعترف بإسرائيل". وحتى صيغة التسوية التي عرضتها موسكو على "حماس" رفضها مشعل. وهكذا، عاد الأخير إلى دمشق بأيدٍ فارغة ودون حل لحصار غزة المستمر حتى يومنا هذا.

التقى مشعل مع لافروف مرّة أخرى في أغسطس/آب 2015 في قطر، بعد عام تقريبًا من الحرب بين (إسرائيل) وغزة. وفي تلك المرحلة، طلب مشعل مساعدة القطاع في ضوء التدمير الشامل للبنية التحتية ومقتل وجرح آلاف الأشخاص جرّاء القصف الذي قامت به قوات الاحتلال الإسرائيلي. وبالرغم من وعود لافروف فيما يتعلق بالحالة الرهيبة للقطاع، فإن "حماس" لم تتلق شيئًا.

لكن الأمور تغيّرت منذ آخر لقاء للافروف مع مشعل في الكرملين قبل سنوات. فالتغييرات لم تطل فقط علاقة روسيا ب"حماس"؛ ولكن طالت أيضًا العلاقات بين موسكو و(إسرائيل).

فبعد سنوات مريرة من المقاومة، استوعبت "حماس" أن سياستها لم تتقدم بمقدار شبر واحد. صحيح أن الاتفاق (الترتيب) الأمني مع (إسرائيل) لا يمثّل اعترافًا رسميًا بوجود دولة (إسرائيل)، لكنه بالتأكيد اعتراف ضمني.

كان الاتفاق بين (إسرائيل) و"حماس" خلال الأعوام الماضية تحت مسمّى "ترتيب" يتطلب وقف العمليات العسكرية من قِبل "حماس" في مقابل تخفيف العقوبات الاقتصادية.

أدرك هنيّة أن كلمة واحدة من الرئيس الروسي إلى نتنياهو لها وزن أكبر بكثير من كل المحادثات التي أجراها رؤساء المخابرات المصرية مع كبار مسؤولي وزارة "الدفاع" الإسرائيلية، ورئيس جهاز الشاباك آنذاك نداف أرغمان، ومدير مجلس الأمن القومي مئير بن شبات. ومن

وجهة نظر "حماس"، يمكن لرعاية بوتين لترتيب ما أن تضـــمن تنفيذه فعلياً، على افتراض أن يتولّى الروس دور الوسيط المشترك.

لقد أتت زيارة هنيّة الأخيرة إلى روسيا في ظل بيئة سياسية مغايرة لما كانت تحدث فيه زيارات مشـابهة لوفود من حركة "حماس"، وفي توقيت مهم ، بعد حصـول توتّر ملحوظ في العلاقات بين روسـيا و"إسـرائيل" على هامش الحرب الدائرة مع أوكرانيا. لكن اللافت، وفق جدول الزيارة، أنها تضـمّنت لقاءات مع مسؤولين في الخارجية الروسية وآخرين في مجلسـي النوّاب والشـيوخ الروسيين؛ بالإضافة إلى إجراء مباحثات مع الرئيس الشيشاني رمضان قديروف.

زيارة وفد "حماس" لموسـكو، ولقاؤه القيادتين الروسـية والشـيشـانية، يمكن توظيفهما في الدرجة الأولى لمصـلحة القضـية الفلسـطينية، إذ يُعَدّان إنجازاً دبلوماسـياً مهماً يهدف إلى توسـيع حالة الاصـطفاف الإقليمي في شكله الإيجابي تجاه ما يدور من أحداث في العالم لمصـلحة القضـية الفلسطينية؛ وهو ما يُعَدّ نجاحاً ملموساً في استعادة مركزية قضية فلسطين، في بعدها الدولي.

صـــحيح أن الزيارة جاءت في ســياق العلاقة الطبيعية القائمة والمســتمرة بين موســكو وحركة "حماس"، والممتدة منذ أعوام، لكن من حيث البيئة والتوقيت يمكن توظيفها وتطويرها نظراً إلى تنامي مكانة حركة "حماس" إقليمياً ، وتأثيرها سـياسـياً وعسـكرياً، وخصـوصـاً أنها تأتي في ظل حالة من الاســتقطاب العالمي في إثر الحرب الروســية– الأوكرانية الدائرة، وأمام تشــكّل حلف القدس ومركّباته ومكانته لدى روسيا وحليفتها الصين في وجه الهيمنة الأميركية.

توظيف الزيارة سـياسـياً، أو حتى في أوجه متعددة، وارد بصـورة كبيرة؛ والهدف يكمن في إعادة فرض بيئة جديدة تكون أســاســاً لمرتكزات تنســجم مع متغيرات طرأت تخدم مصــالح الطرفين، بحيث لا يمكن إغفال تأثير الحرب الروســية– الأوكرانية وموقف "إســرائيل" تجاهها، وذلك وفق عدة مسارات، أهمها:

-المسار الأول: تطوير العلاقات والمواقف السياسية بين الطرفين بمزيد من الدعم السياسي لموقف حركة "حماس" بشأن مقاومة الاحتلال الإسرائيلي؛ وبيان الخارجية الروسية الذي صدر في 14 نيسان/أبريل الماضي يعزّز هذا المسار، عبر وصفه الاحتلال الإسرائيلي غير المشروع للمناطق الفلسطينية وضمّها بالتدريج الى سيادتها*.

*الميادين- شرحبيل الغريب- 2022/05/6

-المسار الثاني: مقاومة "إسرائيل" ومواجهتها في هذا التوقيت تتقاطع فيهما مصالح الطرفين، بهدف إفشال مخطط "إسرائيل" إبدال الغاز الروسي بغاز فلسطيني مسروق، وبيعه للقارّة العجوز، من خلال التنسيق، ومنح روسيا الضوء الأخضر للتنقيب عن الغاز أمام سواحل غزة. وعليه، قد تصبح موسكو مؤهّلة لإرسال سفن كسر الحصار عن قطاع غزة مستقبلاً.

-المسار الثالث: إن إعلان الجناح المسلّح لحركة "حماس" أخيراً عن استخدامه صاروخ "ستريلا"، الروسي الصنع، ضد الطائرات الحربية الإسرائيلية في قطاع غزة، ليس ببعيد عن أهداف الزيارة. وهذا من شأنه أن يفتح الباب أمام دعم روسي متعدد الأوجه، سواء عسكرياً ومباشرة، أو عبر الحلفاء في محور المقاومة، بهدف الضغط من قِبل موسكو على "إسرائيل" بعد الكشف عن وجود مرتزقة من "إسرائيل" يقاتلون إلى جانب كتيبة "آزوف" المتطرفة في أوكرانيا.

ومثل هذا النموذج من الدعم الروسي للفلسطينيين ليس بالجديد. فتاريخياً، دعم الاتحاد السوفياتي والصين وكوريا الشمالية منظمة التحرير؛ وقد بدأ ذلك في عهد الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، الحليف العربي الأول لروسيا، ثم كان الدعم العسكري الروسي المباشر لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد عام 1975.

–المســار الرابع: التلويح الروســي بورقة "حماس" القوية أمام اللوبي اليهودي في روســيا، الذي يعمل على إضعاف دور روسيا ومكانتها في المنطقة، بالتنسيق الكبير مع الولايات المتحدة*.

* المرجع السابق.

وبشــكل عام، فإن كلا الجانبين (إســرائيل) و"حماس" مهتمّان بالترتيب ومســتعدّان لدفع الثمن. بالنسبة لحماس، هذا يعني قبولها الصامت بوجود دولة (إسرائيل). وهناك تنازلات إضافية أخرى متضمنة: اتفاق غير معلن على أن حدود فك الارتباط مع غزة التي فرضتها (إسرائيل) في عام 2005 هي الحدود بين غزة و(إسرائيل). لكن بالنسبة لـــ"نتنياهو"، أيّ ترتيب مع "حماس" هو "ترتيب مع منظمة إرهابية نجحت في فرض الإرهاب على إسرائيل؛ وهو ترتيب مع كيان إرهابي قال عنه بنفسه إنه يجب إنهاؤه".

في الأشهر الأخيرة، وقبل رحيله عن رئاسة الوزراء، سمح بنيامين نتنياهو بتدفّق الأموال القطرية إلى القطاع. كما أعرب عن اســتعداده للنظر في حلول خاصــة، بما في ذلك طباعة الآلاف من تصاريح العمل للعمّال من غزة والموافقة على المشاريع الاقتصادية، التي من شأنها، في الواقع، إدامة نظام "حماس" في القطاع؛ وكل هذا حصـــل بالرغم من أن "حماس" لم تمنع "الجهاد الإســلامي" من إطلاق الصــواريخ على (إســرائيل) في جولات لا تُعدّ ولا تُحصــى خلال الأعوام الأخيرة.

لم تهدف "حماس" من العلاقة التي أرادت تفعيلها مع موسكو لاستبدال الوساطة المصرية. ولم يتوهم أيٌ من قادة الحركة بأن مصر مستعدّة للتخلّي عن دورها كوسيط.

تُدرك "حماس" أيضًـــا أن مصـــر تســـيطر على "أنبوب الأكســـجين" في غزة، وهو معبر رفح الحدودي. لكن "إسماعيل هنيّة" وقادة الحركة الآخرين يعتقدون أن موسكو يجب أن تنضم أيضًا

إلى طاقم التمثيل، وأن تلعب دورًا وراء الكواليس. سيكون هذا الدور هو مواصلة الضغط على "نتنياهو". وفي الواقع، سوف يفكّر "نتنياهو" مرّتين قبل أن يقول "لا" لـ"بوتين".

على أي حال، فإن وجود موسكو له ميزة لا يمكن لأحد أن يُنكرها: تدرك كلٌ من (إسرائيل) و"حماس" أنه إذا تدخلت موسكو ودعمت اتفاق ترتيب، فلن يجرؤ أحد على اللعب معها.

روسيا وحزب الله: سوريا خط المواجهة ضد الولايات المتحدة

على مدى السنوات الماضية، نُشر في الإعلام المعادي للنظام السوري وحلفائه (فرادى ومجتمعين) الكثير من التقارير و«المعلومات» التي تتحدّث عن أعمال وإجراءات بدأت روسيا بتنفيذها، لإخراج حزب الله، وإيران، من سوريا، أو على الأقل، الحدّ من وجودهما. وتلك التقارير كانت مبنيّة على تقدير أن روسيا لا تريد شريكاً لها في النفوذ في الشام، وخاصة النفوذ الإيراني. لكن في الميدان، كان العكس هو ما يحكم العلاقة بين الطرفين. تعاون على أكثر من صعيد، وتقاسم للأدوار أحياناً. وعندما لا يُتّفق على أمر ما، كانت القضية تُحلّ بتنظيم الاختلاف*.

*** الأخبار – 6 /04/ 2021**

الزيارة التي قام بها وفد من حزب الله، برئاسة النائب محمد رعد (عضو شورى القرار في الحزب ورئيس كتلته النيابية)، إلى موسكو، في منتصف مارس/آذار 2021، كانت مناسبة أوضحت فيها القيادة الروسية موقفها من وجود الحزب في سوريا. في موسكو، تقديرٌ عالٍ لأداء حزب الله العسكري: حِرفيّة مقاتليه، وانضباطهم، وقدرتهم الفائقة على تحقيق أهدافهم في المعارك. وفي الوقت عينه، تُبدي موسكو إعجابها بـ«براغماتية» حزب الله. في الشأن الأخير، تبدو موسكو معنيّة بكل ما يُسهم في حماية الدولة السورية: التسويات الداخلية مع مجموعات مسلّحة في

كثير من المناطق، خصـــوصـــاً في الجنوب، والتفاهمات الكبرى مع تركيا. وفي الحالتين، كان الحزب ملتزماً بكل ما يمكن القيام به لإنجاح هذه التسويات والتفاهمات*.

https://ria.ru/20210315/khezbolla-1601224730.html

وقد وصـــف النائب محمد رعد اللقاء الذي جرى مع وزير الخارجية الروســـي لافروف بأنه كان ودياً وصريحاً، مشيراً إلى أن المحادثات تطرقت إلى موضوع تشكيل الحكومة اللبنانية.

ونقلت وكالة أنباء "ســبوتنيك" الروســية عن رعد قوله: "اللقاء كان لقاءً بين أصــدقاء؛ الأجواء كانت وديّة وصـــريحة جداً، وبحثنا في تطورات الأوضـــاع في المنطقة ولبنان وكيفية تثبيت الاستقرار في المنطقة والحيلولة دون استفراد أي قوّة ، من خلال دعمها للإرهاب، من أن تتحكم بمصير شعوب هذه المنطقة".

وكالة سبوتنيك الروسية-2021/03/15

العلاقات الروسية – الإسرائيلية وتأثير الحرب الأوكرانية

شهدت العلاقات الروسية الإسرائيلية تقلّبات عديدة، حيث لم تسِر على وتيرة واحدة منذ أن بدأت بعد اعتراف الإتحاد السوفياتي بدولة إسرائيل عام 1948؛ فهي انقطعت عام 1956 إثر أزمة العدوان الثلاثي، ثم تمّ استئنافها عام 1991، حيث ربطت بين البلدين علاقات اقتصادية وتجارية متينة، أدّت إلى علاقات سياسية قوية، ومصالح مشتركة، في ضوء التغيرات التي يشهدها العالم، وحاجة "إسرائيل" لروسيا كحليف قوي في الشرق الأوسط بعد تراجع الدور الأميركي، والنزاع الذي نشب بين إسرائيل وإدارة أوباما، وتطلّع روسيا للقيام بدور إقليمي أكبر في الشرق الأوسط

.

واليوم، تسعى روسيا لتوثيق علاقتها بكلٍ من مصر وإيران، خاصة بعد اندلاع الأزمة الأوكرانية، ومحاولة الغرب تطويق وعزل روسيا كقوّة دولية بعد فرض عقوبات إقتصادية عليها.

وهناك مؤشرات ترجّح تأزم العلاقات الروسية – الإسرائيلية، وخاصة بعد انكشاف الموقف الإسرائيلي الداعم لأوكرانيا.

منذ تولّي فلاديمير بوتين للحكم عام 2000، شهدنا صعوداً لروسيا كقوّة عظمى ساعية لاستعادة موقعها ومكانتها في النظام الدولي، ومعتمدة في ذلك على ما تملكه من قدرات إقتصادية كبيرة.

إن استمرار الصعود الروسي يرتبط بالدور الذي تؤدّيه روسيا في النظام الدولي ككل، وفي الشرق الأوسط بالأخص. لذا من الأهمية بمكان تحليل السياسة الخارجية الروسية تجاه القوى الفاعلة في الشرق الأوسط، وعلى رأسها "إسرائيل" ، والذي يعمل بوتين على تدعيم العلاقات معها منذ تولّيه الحكم، على الرغم من مرور العلاقات الروسية –الإسرائيلية بمراحل صدامية وصلت إلى حد قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين قبل استئنافها مجدّداً. ومن هنا تتمحور الإشكالية حول دراسة التوجهات أو السياسات المتّبعة تحت قيادة الرئيس الروسي تجاه إسرائيل، بما لديها من محدّدات وأهداف وأولويات، وتحليل أوجه التشابه بين مصالح البلدين، والتفاهمات المشتركة حول قضايا الشرق الأوسط، وعلى رأسها الأزمة في سوريا، والقضية الفلسطينية، ومكافحة الإرهاب الناتج عن الإسلام الراديكالي في الشرق الأوسط، المتمثل في الجماعات المتطرفة مثل "داعش" و"حماس–من وجهة نظر إسرائيل–"، والتطرق إلى المصالح المشتركة بين البلدين، سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي .

لقد كسب الروس التحدي في الميدان السوري ؛ ولكن الفيصل الأساس يكمن في القدرة على إضفاء الاستقرار وبلورة حل سياسي في البلاد وهزيمة المشروع الأميركي بالكامل ، في سوريا

وغيرها من دول الإقليم . وهم يعتمدون في ذلك أوّلاً على مثلّث إيران . تركيا . روسيا، الذي شكّلوه بعد بذلهم جهوداً كبيرة.

وكما يوضح دبلوماسي روسي: "هذا التحالف ليس بديهياً؛ فهو يرتكز على حسابات تكتيكية. ولكن هذا لا يعني أنه لن يستمر. فهو يوفّر التقاء المصالح على المدى القريب لهذه البلدان الثلاثة التي لديها قوات في الميدان، والتي ترغب في إيجاد حل".

قمّة طهران الأخيرة والتحوّلات المقبلة

في مقال لمراسل الشؤون الدولية في صحيفة إندبندنت البريطانية، بورزو داراغاهيان، أشار إلى أن اجتماع الرؤساء: فلاديمير بوتين ورجب طيب أردوغان وإبراهيم رئيسي، في طهران أخيراً، يأتي في إطار عرض الوحدة بينهم، ويمثّل ردّاً جيوسياسياً قوياً، على زيارة الرئيس الأميركي لشركائه الأساسيين في الشرق الأوسط*.

*الإندبندنت– 19 يوليو/ تموز 2022

فلم تكن هناك حاجة رسمية لعقد اجتماع شخصي في إطار صيغة أستانا بالمعنى التقليدي، وعلى مستوى الرؤساء تحديداً.

ففي المسار السوري، الذي أنشِئت الصيغة من أجله بالأساس، لا تلوح في الأفق أي أزمات حادة أو تغييرات جذرية تتطلب أو تخلق أرضية لعقد اجتماعات شخصية ثنائية بين رؤساء هذه الدول. علاوة على ذلك، فقد كان هناك اجتماع للمشاركين في صيغة أستانا على مستوى الخبراء في أستانا، ولم يكلّل الاجتماع بنجاح كبير وفقاً لما ذكرته وسائل الإعلام.

وعلى الرغم من ذلك، توجّه بوتين إلى طهران؛ بل وأعلن عن الاجتماع المقبل لقادة الدول الثلاث في روسيا. علاوة على ذلك، ونتيجة للاجتماع، تقرّر توسيع نطاق مسؤولية صيغة أستانا لتتجاوز إطار القضية السورية.

إن إحدى النتائج الرئيسية للقمّة الثلاثية التي عقِدت في طهران هو مأسسة وترسيخ شكل الثلاثي الروسي–الإيراني–التركي وفصله عن الملف السوري. فجميع المشاركين في هذه الصيغة هم قوى عسكرية بالدرجة الأولى. وفي هذا المجال، أعني المجال الأمني، تعلن الكتلة عن طموحاتها ونيّتها العمل معاً.

ولمّا كان طرد الولايات المتحدة الأمريكية من منطقة الشرق الأوسط هو النتيجة الحتمية وهدف الكتلة في هذه المرحلة، إلاّ أنه ليس الهدف الوحيد، أو حتى الهدف الرئيسي بعيد المدى للمشاركين.

أعتقد أنه من المناسب مقارنة المنظمة التي تنشأ أمام أعيننا الآن بمجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة، ولكن على المستوى الإقليمي فقط. ولا أستبعد أن تنضم إليها كلٌ من المملكة العربية السعودية ومصر، و/أو ربما الصين والهند وباكستان، إذا ما اتسع مجال مسؤولية الكتلة نحو آسيا.

وعلى الرغم من وجود مصالح مشتركة، كثيراً ما تتعارض مصالح روسيا وتركيا وإيران مع بعضها البعض. كما أن الكتلة التي يجري إنشاؤها ليست "تحالفاً ضد أحد"، حتى لو كانت منافساً قوياً لقوّة مثل الولايات المتحدة الأمريكية؛ إلاّ أنها منصّة لتنسيق المصالح وتسوية الخلافات بين المشاركين، التي سوف تقرّر مصير المنطقة. لذلك، لا أرى أدنى عقبة أمام المشاركة المتزامنة لإيران والسعودية ومصر وتركيا فيها.

إن السياسة الدولية حبلى بنظام عالمي جديد، في الوقت الذي يتم البحث فيه عن صيغ جديدة. وبينما تحاول الصين الهيمنة على دول "بريكس"، التي لديها الفرصة لتصبح المحور الاقتصادي للنظام العالمي الجديد، قد يتطور ذلك الثلاثي، الذي يتم إنشاؤه من قِبل روسيا وتركيا وإيران، في نهاية المطاف إلى منظمة تضمن الأمن الإقليمي أو العالمي.

على أي حال، تشارك روسيا الآن جزءاً من وزنها السياسي الخارجي، بينما تكسب إيران وتركيا وزناً سياسياً بشكل ملحوظ.

وأي نفع لروسيا من ذلك؟

إن جزءاً كبيراً من مضمون الاتصالات بين بوتين وأردوغان عادة ما يكون مغلقاً أمام الجمهور، ولا يمكن سوى تخمين مواضيع المحادثات.

أما إيران، فقد توصلت روسيا إلى اتفاقات أوليّة معها بشأن مشاريع الطاقة والنقل.

وتواردت تقارير حول إقرار التعامل بالعملات المحلية بين الدول الثلاث. وعلى الرغم من الحاجة الملحّة لذلك، ربما يصبح الروبل عملة تداول في هذا الثلاثي إذا ما تمكن البنك المركزي الروسي من ضمان استقرار سعر صرف الروبل.

إن القضية الرئيسية لمحادثات بوتين الثنائية كانت النقل؛ أي توفير التجارة الحرّة بين روسيا والعالم في مواجهة الصراع المحتمل مع "الناتو"، والذي من شأنه إغلاق بحر البلطيق وشمال الأطلسي أمام روسيا.

ومن بين مجالات التعاون المخطّط لها مع إيران كذلك، تبادل الغاز والمنتجات النفطية، وبناء خطوط أنابيب الغاز، والنقل؛ وذلك يرجّح إمكانية بناء خطوط أنابيب الغاز من روسيا، عبر

إيران، إلى ساحل المحيط الهندي، مع إمكانية تسييله لاحقاً. من المحتمل كذلك أن يتم إنشاء ممر للسكك الحديدية بين الشمال والجنوب، من روسيا، عبر إيران، إلى جنوب آسيا.

على أي حال، تولّي روسيا وجهتها من الغرب ليس فقط نحو الشرق، وإنما أيضاً نحو الجنوب. وستكون سياستها في هذا الاتجاه أكثر نشاطاً، حيث ستزداد أهمية تركيا وإيران بالنسبة لروسيا، ما يعني أن دور ووزن هذه الدول في المنطقة سوف يتنامى. ومع ذلك، فإن هذا سيزيد بالتوازي من مصلحة روسيا في خلق توازنات مع هذين البلدين، الأمر الذي يجذب المملكة العربية السعودية على أقل تقدير إلى هذه الصيغة، ومصر أيضاً على الأرجح.

إن روسيا تحتاج إلى طرق تجارية آمنة، وهو ما يعني السلام في المنطقة، وذلك مفيد للعرب*.

***المحلل السياسي ألكسندر نازاروف– روسيا اليوم –2022/07/20**

خلاصة

في ضوء ما تقدّم يمكن استنتاج ما يأتي:

–إنَّ ما يربط محور المقاومة هو القضية المركزية التي تُعدّ القضيّة الأسمى بالنسبة إليه، والتي تتمثّل في تحرير القدس، وليس الرابط الطائفي، كما يتّهم به.

–المقاومة التي طُرحت كشعار، ومن ثم كمشروع، أضحت تمثّل اليوم محوراً. وقد زاد عدد أطراف هذا المحور، وهو ما زال قادراً على استيعاب المزيد، بموازاة تطوَّر التعاون بين أطراف المحور إلى تداخل في الجبهات وتوحّد في الوجود والمصير.

–بات محور المقاومة اليوم يمتلك القدرة على فرض معادلات جديدة في طبيعة الاشتباك مع الكيان الإسرائيلي، نتيجة الخبرات التراكمية القتالية والتقدم الصناعي التكنولوجي والعسكري الذي امتلكه؛ وهو ما أسهم في عدم خضوعه للابتزاز من قِبل الدول الأخرى، أو لمشروطية استخدام الأسلحة.

– لولا محور المقاومة ووجوده وتأثيره، لكانت الولايات المتحدة الأميركية تمكَّنت من تصفية القضية الفلسطينية عبر "صفقة القرن"، وسط تخاذل بعض الدول العربية التي دفعت مليارات الدولارات لإسقاط المحور، لصالح بقائها في السلطة والحفاظ على علاقاتها مع "إسرائيل".

– لأوَّل مرة في التاريخ الحديث، ومنذ حرب تشرين التحريرية (1973)، تمكَّنت قوى المقاومة من أداء دور مهم في العراق ولبنان وسوريا، بعيداً عن الموافقة والعقوبات الأميركية، وبغطاء سياسي روسي قائم على التعاون في مختلف المجالات*.

*https://www.almayadeen.net/articles/blog/1492631/%D9%85%D8%AD%D9%88%D8%B1